

سيمائية العنوان في رواية حيزية لواسيني الأعرج

Semiotics titles in a novel hiziya by the writer wacinylaredj

1 بشيري شعيب*

جامعة تلمسان، (الجزائر)، مخبر تحليلية إحصائية في العلوم الإنسانية وإعداد معجم موحد لها

chouaieb.chaieb@yahoo.fr

2 أ.د بن يحي فتيحة

جامعة تلمسان، (الجزائر)، مخبر تحليلية إحصائية في العلوم الإنسانية وإعداد معجم موحد لها

afnan_26@yahoo.fr

تاريخ الارسال 2024-12-04 تاريخ القبول 2024-12-30 تاريخ النشر 2025-03-16

ملخص:

لقد كان لتطور المدارس اللسانية والنقدية أثره في الدراسات الأدبية بمختلف تفرعاتها وتوجهاتها، وأصبح تحليل النصوص يخضع لعوامل أشمل من تلك النظرة التقليدية والتي جعلت من النص المستهدف الوحيد في بوتقة البحث والتحليل.

فمع ظهور المباحث اللسانية المعاصرة وإدراك أهمية العلامة من حيث هي رسالة ذات دلالات، أصبح النص يشمل جميع العتبات الداخلية والخارجية، وصار النص الموازي متمثلاً في الغلاف والعناوين والإهداء والحواشي جزء لا يتجزأ من السند الداخلي ومن الكتاب ككل.

وتعد العنوان من أهم مباحث سيميولوجيا العتبات وأكثرها تداولاً، ونحن اليوم ندرك أن وضع العناوين على أغلفة الكتب لا يأتي هكذا اعتباطاً بقدر ما هي حبكة وذكاء من لدن المؤلف ودور النشر، وهذا لتحفيز القارئ على اقتناء الكتاب وللتسويق الصحيح للمنتج الأدبي في سوق الكتاب أو في المعارض عموماً، وفي بحثنا هذا سنقف عند العنوان وحضوره في رواية حيزية لواسيني الأعرج، وما هي وظائفه وعلاقته بالمقاطع السردية ؟

الكلمات المفتاحية: السيميائية، العناوين، الرواية، السرد، واسيني الأعرج.

Abstract:

Linguistics and criticisms contributed to the development of literary studies , text analysis became more expanded and mor areas , after the text was the only one being studied .the text now contains thresholds.

The paratext became the titles ,cover, dedication ,etc.,the .

The most important area of threshold semiology is the titles, that s why writers choose the best titles for their novels, publishing selects good covers for novels to have good marketing in our research, we will learn about the importance of the title in hiziya by the writer wacinylaredj.

Keywords: semiotics , titles ,novel ,narration, wacinylaredj.

1. مقدمة:

يحتل العنوان مكانة مهمة في العتبات النصية أو النصوص الموازية، فهو المفتاح الإجرائي الأول، وهو البوابة الرئيسية التي يلج منها القارئ للرواية، لهذا احتفت مختلف الدراسات المعاصرة بهذه العتبة وأولتها أهمية معتبرة نظرا لحجم الإنتاج الأدبي وتنوعه ما بين روايات وقصص قصيرة، وصولا إلى الدواوين الشعرية وغيرها ... ومن هذا المنطلق كان على الباحثين اعتماد استراتيجية واضحة لدراسة علم العنوان من حيث المعاني والدلالات وكيفية ارتباطها بالغلاف أولا وبالمتن الداخلي ثانيا، وصولا إلى معرفة أهمية العنوان وضروريته الشعرية والإعلامية وغيرها من الوظائف التي حددها جيرار جينيت في كتابه عتبات.

تعد الرواية فضاء خصبا لهذه الشاكلة من الدراسة، فهي تملك بوابات عتباتية ونصوصا موازية تلامس المتن الداخلي مؤثره فيه وفي الخطاب السرد ككل، ولهذا كان التركيز على الروايات دون غيرها في هذه الدراسات رغبة في استغلال النص الثري القصصي، والذي حقق بعناوينه شهرة وتقبلا عند القارئ متجاوزا الدواوين الشعرية وكتب الدراسات الأدبية وغيرها، فبعض الروايات وصلت للعالمية وتمت ترجمتها للعشرات من اللغات وصارت إرثا إنسانيا تجاوز حدود الجغرافيا والتاريخ.

والرواية الجزائرية على حداثة عهدها وصلت للقمة بفضل أقلام جريئة وماهرة محققة سبق إقليميا وعالميا ومن بين روادها نذكر: محمد ديب، رشيد بوجدر، طاهر وطار، أحلام مستغانمي، واسيني الأعرج، فكانت لهذه التجارب مكانتها وصددها قراءة ودراسة، ولهذا اختار الباحث أنموذجا متمثلا في رواية حيزية للوقوف على عتبة العنوان فيها وما هي دلالاته وإشارته؟ والوظائف التي جاء بها؟.

2. العنوان

يعد العنوان من أهم العتبات النصية المرافقة للنص الأصيل، فهو مفتاحه الذي يمكننا من الولوج لداخله، واقتحام فضاءه السردى واكتشاف مكنوناته، إنه بحق يشكل فضاء دلالي لوحده، ثري بتركيبه النحوي والمعجمي، وصولا لوظائفه التي يشتغلها والتي تسمح للمتلقى باكتشاف هذا المنجز الذي بين يديه من خلال نظرة على الغلاف الخارجي، قبل تصفح المتن الداخلي، ولهذا فإن اختيار الكتاب لعناوينهم ليس بالشيء السهل، إنه أمر منوط بالكثير من المعطيات والتي ستحدد فيما بعد نجاح هذا العمل من فشله ولا ريب أن بعض العناوين الجذابة تسحر القارئ وتجعله يقبل بشغف على اقتناء الكتاب على عكس عناوين أخرى حيث لا تلقى نفس الاهتمام ولا نفس التسويق .

إن العنوان بما يشكله من ثقل يمتلك "علامات إيجابية شديدة التنوع والثرى مثل النص"¹، تعمل على توجيه المتلقي وترسم له معالم المتن الداخلي، فيستنطق ما يرجح أن الكاتب قد أراد الوصول إليه من خلال شبكة العناوين هذه، وكلنا ندرك أن صياغة العنوان هي جزء من الكتابة الفنية والتي تمتد إلى بقية الهوامش النصية .

يعتمد العنوان كعلامة سيميائية على ذلك الانطباع الذي يحدثه عند المتلقي، هذا الأخير هو الحلقة الأهم في الرسالة والذي يقوم باسترجاع معطيات سابقة، ومهارات مكتسبة قصد التأويل وقصد قراءة عميقة لهذه العتبة الخارجية وربطها مع تضاريس الغلاف، ومع الخطاب السردى الداخلي، و"العنوان يعمل على استدعاء هذا الخطاب بكليته إلى مساحة ذلك الصراع في ذهن المتلقي"²، والذي سيفتح له المجال للتعمق أكثر في خصوصيات هذا المنجز الأدبي.

وكتعريف دقيق للعنوان نجد أنه "عبارة عن كتلة مطبوعة على صفحة الغلاف الحاملة لمصاحبات أخرى مثل اسم الكاتب أو دار النشر"³، على أن هذه العتبة هي الأعم من حيث الدلالات ومن حيث الحضور ضمن هذه الفضاءات الموازية للنص، ونظرا لكل هذه المعطيات فإن العنوان ذو أهمية كبيرة سواء للمؤلف أو المتلقي على السواء، لأنه التعريف الأول والشاهد لما سيتيح الفضاء السردى بعد ذلك، وعادة لا يجد الكاتب المتمرس صعوبة في اختياره للعناوين، إنه يحرص على جمالياتها وقوتها، وعلى جعلها تثير في القارئ فطرة الفضول للبحث بين غلافي الرواية عن أسرار هذا العنوان وأسباب اختياره.

يذهب شعيب حليفي إلى أن "العنوان مرجع يتضمن بداخله العلامة والرمز وتكثيف المعنى، بحيث يحاول المؤلف أن يثبت فيه قصده برمته، أي أنه النواة المتحركة التي خاط المؤلف عليها نسيج النص"⁴، غير أنه في بعض الأحيان يغير العنوان النظرة التي يختص بها القارئ للنص، مما يولد صعوبات في استنباط الدلالات، يعجز معها المتلقي على وضع قالب محدد لدراسته السيميائية لهذه العلامة، فيصبح البحث عن موطن العنوان ومكوناته داخل الخطاب السردى، أو بين جنبات العتبات الأخرى كالمقدمة والإهداء والحواشي...

وفي بعض الأحيان يعزل العنوان نفسه عن المتن السردى قاطعا صلته بالنص، ومكتفيا بنمطيته وهيئته النحوية والمعجمية كما هي، فاتحا المجال على مصراعية للقارئ ليتفحص المتن بشكل متفرد وبعيدا عن كل الدلالات والإشارات التي حملها العنوان، فتبتعد هذه العتبة عن وظيفتها التقليدية النفعية، أي اختزال كل النص في تلك المفردات أعلى الغلاف، ومن ثم يمكن القول أن العنوان كعتبة ومفتاح أولي "يمكن أن يشف عن تقليدية النص أو حدثته، وحادثة النص ترتبط بنسبيته وفتحه لأفاق التأويل"⁵، وهذه إحدى الآليات التي يعمل عليها العنوان، أين سيكون توجهه الجديد هو التأسيس للعناصر التلميحية وليس التصريحية بأسلوب بلاغي جديد، بعيدا عن النمطية التقليدية والتي تفصح بشكل مباشر عن مقصدية المؤلف ودلالات اختياره.

كانت المدارس النقدية الكلاسيكية لا تعير الاهتمام الكافي بالعناوين وتشكلاهما لاعتقادهم الجازم أن أدبية النص تكمن في خطابه السردى وفي أسرار متنه السطحية أو الضمنية، وفي أحسن الأحوال كان الناقد يربط الكتاب بصاحبه وبما يمكن أن يؤثر عليه في ذلك، غير أن الحال تغير بظهور علم السيمياء وتفرعه إلى الكثير من الدراسات النقدية، ليشمل أخيرا عناصر النص الموازي بما في ذلك العنوان، فهو كما يقول بسام قطوس: "ليس حلبة وإنما هو عنصر موازي ذو فعالية في النص وفي الفضاء الاجتماعي للقراء"⁶، ويستلزم مع البناء النصي ضرورة الكشف عن تلك الدلالات الغامضة، والتي تشغل فكر القارئ الشغوف بفك شفرته والبحث عن إشاراته.

عند الوقوف على عتبة العناوين وعلاقتها ببقية العتبات والمتن نجد أنها تأتي بمستويات مختلفة، دلالية ومعجمية، تقود القارئ إلى صياغة ثانية للنص، مع منحه الحرية في الاكتشاف " إنه العلامة التي يهتدي بها القارئ في ليل النص"⁷، والبوصلة التي تقوده إلى بر الأمان، حيث ينجلي الغموض، ويبيح الكتاب عن مكنوناته وما خفي فيه.

لقد اهتم النقاد بالعنوان ودلالاته، وأسباب اختيار الكتاب لعناوين بعينها، وهذا لما يحمله هذا المفتاح من أهمية كبيرة في بناء معالم النصوص، والارتباط الشديد مع العتبات الأخرى، وهو يشكل الانعكاس والانطباع الأولي للقارئ عن النص والمنجز الذي بين يديه، وهو في كل هذا يمثل واجهة مختصرة وأكثر دقة لكل ذلك النسيج النصي، ولعل شعرية وبلاغة العنوان تظهر في ذلك الاقتصاد اللغوي للنص الكلي، وباعتبار أهميته ضمن نطاق النصوص الموازية خصوصا في الدرس النقدي المعاصر، ذهب الكثير من الباحثين إلى أن أهمية العنوان في الرواية لا تقل أهمية عن السند والنص إذ يشكلان خطأ متوازيا بدلالات متفاوتة ولكنها تصب في منبع واحد هو ما يريد الكاتب أن يتلقفه القارئ، وعليه تعمل هذه العتبة على "تجنيس النص وإلى تحديد شكله ودلالاته، وترجع هذه الأهمية إلى وضعيته الخاصة بالمقارنة مع العناصر الأخرى"⁸، فهو أول العتبات الخارجية التي ترتسم أعلى الغلاف.

3. قصة حيزيا في التراث الجزائري:

حيزيا أو جولييت الصحراء كما يصفها الكثيرون، الفتاة الفاتنة الجميلة والتي رسمت أروع الملاحم في الوفاء والعشق، حين وقعت في حب ابن عمها سعيد، فارس من فرسان القبيلة، والذي تحدى الجميع ليضفر بمحبوبته، وتصبح قصة حيزية أيقونة للحب يتداولها العشاق ويضربون بها المثل خصوصا بعد أن قام الشاعر ابن قيطون بتخليد ذكراها في قصيدته المشهورة بحيزيا، وصولا إلى الكثير من الأعمال الروائية والقصصية التي تحاكي مرثيتها خصوصا أن نهاية قصتها لم تكن بالسعيدة، حيث وبعد كل ذلك الصراع رضخت القبيلة لهذين العاشقين مانحة لهما صك الغفران، ومباركة زواجهما غير أن المؤسف في الموضوع أن حيزيا أصيبت بمرض مفاجئ خطف روحها بعد فترة قصيرة.

حدثت هذه القصة في منطقة سيدي خالد بمدينة بسكرة في الجنوب الجزائري، وبحسب الروايات ماتت حيزية وعمرها لا يتجاوز الثلاثة وعشرون سنة، ليصيب الاكتئاب سعيد ويغادر القبيلة تائها في الصحراء وبدون رجعة ولا حتى خبر إن كان حيا أو ميتا.

1.3. القصة كما يرويها واسيني:

في أواخر سنة 2019 يفجر الكاتب الجزائري واسيني الأعرج مفاجأة بخصوص هذه القصة، حين يؤكد أنه قد توصل بما لا يدعوا للشك بعد سنوات من البحث والتحري والزيارات الميدانية إلى أن شخصية سعيد هي من محض الخيال، ولا وجود لها في الواقع، إنما الشاعر ابن قيطون صاحب قصيدة حيزيا هو العشيق الحقيقي، والذي

وقعت في حبه بل وحتى حملت منه، وهو الأمر الذي عجل بمقتلها وعلى يد والدتها اقرب الناس إليها، أن أرادت أن تدفنها وتدفن معها الفضيحة حفاظا على شرف العائلة وسمعتها وسط القبيلة. والدليل أن ما كتبه ابن قيطون لا يخرج إلا من قلب مكوم ومجروح على فراق المحبوب، وكذلك ذكره للكثير من التفاصيل الجسدية لعشيقته، تجعل من المستحيل على غيره التطرق إليها بهذا الشكل المستباح. وأخيرا كان من حظ واسيني وأن التقى بلالة ميرة وهي عجوز في أواخر عمرها، روت له القصة التي سمعتها عن أمها، حيث تطابقت روايتها مع ما ذهب إليه واسيني .

2.3. العنوان الرئيسي :

يعنون واسيني الأعرج روايته ب حيزية، بطله روايته والشخصية الأبرز التي يدور حولها كل هذا اللغظ، حيث يتخذ العنوان شكل وحدة معجمية متفردة جاءت اسم علم لأنثى، وعلى المستوى الأيقوني: تبدو هذه الوحدة المعجمية أيقونا يتكون من حروف تيبوغرافية غليظة، ولأن العنوان في الأصل بمثابة الرأس للجسد فهو يتخذ لونا أبيض ناصع البياض مقارنة بينه وبين رقعة النص، متموضعا أسفل الغلاف منفصلا عن العنوان الرئيسي الثانوي "زفرة الغزالة الذبيحة"، وعن اسم الكاتب الذي جاء أعلاه .

وبالنظر إلى أهمية هذا العنوان الموقعية وإلى المنجز ككل فإنه "يشكل علامة إخبارية واقناعية، لأن وجود عنوان يتصدر صفحة الغلاف الأولى يعد انطلاقة من تقاليد الكتابة المتعارف عليها"⁹، وهنا سيشير هذا العنوان الكبير إلى اسم أنثى له بعده وشهرته عند الكثيرين سواء في الجزائر أو خارجها، فالمرسلة هنا لها وقعها الخاص في ذهن المتلقي لكون الأخير يحمل رصيذا قصصيا وشعريا يخص هذه الفتاة، فتشكيل العنوان كتابيا بهذا النوع من التمييز الأيقوني يكتسي بعدا تداوليا وظيفته الرئيسية إثارة اهتمام المتلقي وتحريضه على الغوص في الخطاب السردي الداخلي للرواية.

إن اختيار الكاتب للاسم حيزيا على غلاف روايته سيثير الكثير من الدلالات، وسيجعل من النص فضاء خصبا للبحث في تلك الإشارات، خصوصا أننا هنا أمام شخصية معروفة مسبقا وبالتالي "سيحدث نوع من اشتغال الذاكرة واسترجاع النصوص والصور، سواء كان بطريقة واعية أو غير واعية، الصاعدة في عمق التاريخ أو القادمة من الثقافة المحيطة"¹⁰، وفي هذه الرواية الموسومة بهذا العنوان، سيكون لتركيبه بعده التاريخي الذي يقع على تضاريس الغلاف وعلى المتن ككل.

إن علاقة العنوان بالنص الروائي جعلت البنية التركيبية ترتسم على امتداد صفحات المتن الداخلي، فهي هويته التداولية، ومفتاحه القرائي والتداولي، وهذه العلاقة المتميزة جعلت من اسم حيزيا علامة فارقة للنص، ومؤثر اشاري للبنية العميقة في الخطاب السردي، خصوصا مع اقترانها بالغزالة، وكأن الكاتب يريد إسقاط الكثير من أوجه الشبه بينهما فكان لزاما عليه وضع مقارنة في العنونة والنص تستند لمصيرهما المحتوم لهذا فإن "لغة العنوان تضيف إلى دلالتها المعجمية والكامنة في الذاكرة الجمعية دلالات جديدة من خلال تعلقها مع سياق النص

اللغوي والجمالي عن طريق الإيحاء والتميز لا المباشرة والتسطيح"¹¹، ولعل القارئ الذي يقف للحظات أمام هذا الخطاب العتباتي أعلى الغلاف سيقى مشدودا بالاسم ثم بالعبارة الدموية أسفل "زفرة الغزالة الذبيحة".

وبالنظر إلى البنية التركيبية لهذا العنوان والذي اتخذ وحدة معجمية، تظهر الهيمنة الغالبة عليه في النص من بدايته إلى نهايته، وكأن واسيني مُصّر على إبقاء الجرح مفتوح وعلى تحديد الفزع القرائي بين الفينة والأخرى، وكأن به يريد تبني هذه القصة كما روّتها لالة ميرا، ونسيان الحكاية الأولى المتعارف عليها، إن كينونة النص التاريخي لن تكتمل إلا بحضور هذا العنوان ضمن جميع فصوله.

العنوان عند واسيني أكبر من أن يكون مجرد كلمات تعريفية أو توضيحية للنص، إنه عالم من الدلالات التي تختفي بالنص الروائي وتنسجم معه، إنها العتبة التي أخضعتها تجربته في الكتابة والتي جعلت منها علامة واسينية بامتياز، ونظرة بسيطة على العنونة في روايات واسيني الأعرج ستجد متانة التركيب وجمالية العبارة وكثافة الدلالة، وهو من بين أفضل الكتاب الذين كتبوا عن المرأة وعن معاناتها وعن قضاياها الرئيسية التي تتخللها نصوصه الروائية: مصرع أحلامك مرثم الوديعة (1984)، رمل المائة (1993)، سيدة المقام (1995)، حارسة الظلال (1996)، وصولا إلى حيزية آخر ما خطت أنامله في فلك معاناة الأنثى في وطنه، نابشا جراح الماضي ليعيد رواية القصة كما يجب أن تكون لا كما حرّفها الخيال الجماعي .

3.3. العنوان الثانوي:

كعاداته في أغلب أعماله اختار واسيني أن يعضد عنوان روايته الرئيسي، بعنوان فرعي ثانوي، وهو ما دأب عليه خصوصا في تلك الروايات المرتبطة بالمآسي، والتي تكون بطلتها أنثى كرواية سيدة المقام والتي عززها بعنوان مراثي الجمعة الحزينة، وهنا اختار واسيني "زفرة الغزالة الذبيحة" كعتبة ثانية ترسم أسفل العنوان الرئيسي، وقد جاءت تركيبة هذا العنوان جملة من ثلاث وحدات مبتدأ ومضاف إليه وصفة، تشترك هذه الوحدات الثلاث في كونها أسماء لا يوجد بينها فعل.

العنوان يشير إلى الأنثى الذبيحة؛ لأن الغزالة هي الأنثى بكل ما تحمله الكلمة من إشارات وأن هذه الزفرة المرعبة فيها شجن يعلو فوق صوت العنوان، والذي يقرأ للكاتب واسيني الأعرج يعرف أنه دائما يعزف على وتر الأنثى الضعيفة المهزومة والتي لا تقوى على مواجهة الرجل والمجتمع عموما، فيكون من الطبيعي أن يصور الروائي تلك المعركة المحسومة مسبقا والتي تنتهي بالمأساة المزدوجة للأنثى وللوطن الذي يحتضنها، الصراع هنا ليس بين الرجل والمرأة بقدر ما هو بين الرغبة في الحياة كما تشتهيها الأنثى والجدار المعتم بتقاليد القبيلة وتشددتها من جهة أخرى، في مشهد يتكرر كثيرا ضمن الفضاء الروائي لواسيني.

إن تصوير الاضطهاد الذي تعانيه المرأة في مجتمعاتنا شكل هاجسا في الكتابة الروائية المعاصرة "والمتمل في قضية المرأة لدى الكتاب العرب، يلحظ أن كتابتهم على تفاوت ألوان الطيف في الطرح، تحفل بقدر من المواجهة مع الرجل بحيث يبدو في صورة الخصم"¹²، ولهذا حمل هذا العنوان في طياته الكثير من الإشارات والوجوه، فالعنوان يتخذ وجوها متعددة شأنه شأن الوجه البشري¹³، وعلى القارئ من هذا المنطلق البحث عن فك

شفراته للوصول إلى الوجه الحقيقي العاكس للنص الداخلي، ويكون الفيصل هنا القدرة على اختزال النص برمته وتبسيطه حتى يتطابق مع العتبات الخارجية على الغلاف.

يحمل العنوان في طياته الكثير من الإشارات، التي تبعث على البحث والتفكير في مضامينه ولعل لغة الدم في مفردات العنوان الثانوي هي أكثر ما يلفت الانتباه من حيث التغريب؛ "تغريب المرأة وكأنها تعيش في مجتمع يقسو عليها ويرغمها على فعل ما تأباه"¹⁴، ففي مجتمع تغلب عليه التقاليد والسلطة المطلقة للرجل من الصعب أن تمتد حرية المرأة لاختيار شريك حياتها أو حتى فرضه على أسرتها، وبالتالي يتحول الأمر إلى صراع غير متكافئ بين الطرفين ينتهي بهذا المشهد المأساوي الذي اختصرته عتبة العنوان .

4. وظيفة العنوان في رواية حيزية :

يعيد العنوان إلى الذاكرة الجماعية قصة حيزية برواية جديدة للأحداث، تختلف كل الاختلاف عما تم تداوله لسنوات طويلة، وصار بحكم المؤكد أن واسيني اختار أن يتمرد على التاريخ وعلى الذاكرة الشعبية بعد سنوات من البحث والتحميص، فكانت روايته الجديدة ثمرة لقراءة تاريخية تروي الأحداث بشكل مختلف عن القصة الشعبية المتداولة، وكان عليه ككاتب متمرس أن يصقل شخصيات روايته، وأن يحسن حبكة الأحداث وفق رؤيته للقصة، ووفق الحاجة السردية لذلك .

يفرض العنوان نفسه باعتباره علامة أيقونية ذات دلالة، وباعتباره العتبة الرئيسية التي تسبق المتن فتصبح وظيفته الأساسية هي التعيين وهي من أهم وظائف العنوان في الدراسات السيميولوجية السردية، وفي هذه الرواية يختصر العنوان الكثير لأنه يشير بوضوح ودون مراوغة إلى مضمون الرواية التي سيقنتها القارئ من خلال اسم حيزية الفتاة التي خلده التاريخ اسمها وقصتها، أين يسهل على المتلقي من خلال هذه العتبة "تعيين الموضوع الأساسية للكتاب مثل: فيدرا، بول وفرجيني، زينب، نجمة..."¹⁵، غير أن العنوان الفرعي وضع اللبس والغموض في مصير حيزية مما يوحي أن واسيني الأعرج قد اختار سردا آخر للقصة .

من بين الوظائف التي ارتسمت على هذا العنوان نجد الوظيفة الإغرائية، وهي تعد من الوظائف الجمالية في النظام العتباتي للنصوص الموازية، فالكاتب قبل اختياره للعناوين يبحث عن العناصر التي تجذب القارئ وتغريه لاقتناء إنتاجه الأدبي، سواء أكان ديوانا شعريا أو رواية، وعناصر الجذب هذه لن تخرج عن دائرة العناوين اللافتة للانتباه بقوة دلالتها أو رمزيتها أو لبعدها التاريخي كما في رواية حيزية هنا، وحيث يمتلك المتلقي رصيда معرفيا يمكنه من التعرف على بطل الرواية بشكل مباشر وبدون مقدمات، غير أن الفارق يكمن هنا في العنوان الفرعي الثانوي والذي يحمل صفة الإغراء لغموضه وطريقة تموضعه أسفل العنوان المركزي حيزية؛ إن القارئ الذي تشده العناوين الغريبة والمبهمة سيتعجب من إشارة هذه التركيبة وعلاقتها ببطل الرواية، وسيحاول إسقاط اسم البطل على الغزاة الذبيحة مما سيولد هذا الكم من الإغراء الجمالي، الذي ينتهي بصاحبة نحو قراءة ثانية للغلاف.

وبما أن العنوان بأكمله أيقونة" فإن الأيقونة علامة تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه بفضل صفات تمتلكها، خاصة بها وحدها"¹⁶ فتتحقق الوظيفة الوصفية باعتبار العلاقة بين العنوان والنص هي علاقة وصف الجزء للكل،

وفي هذه الرواية تحضّر عتبة العنوان القارئ وتمهد له لفهم الرواية فهما صحيحا وأكثر دقة، من خلال العنوان الثانوي الذي يصف طريقة موتها وما عانته في لحظاتها الأخيرة من تكالب الجميع عليها، والرغبة في التخلص منها ومن الفضيحة التي بدأت تنتشر أخبارها، ومن هنا فإن العنوان يصبح مفتاحا للنص ويصبح ضرورة من ضرورات الكتابة الأدبية، حيث يساهم في الكشف عن مضمون العمل نفسه تمهيدا للولوج للنص.

إن العنوان بما يحمله من ثقل دلالي ومعنوي يمتلك كذلك الوظيفة التاريخية، أو البعد التاريخي للنص والذي اختصرته هذه العتبة في رواية حيزية، فبمجرد نظرة أولية على العنوان سيجد القارئ نفسه مبحرا في الزمن الماضي مستعيدا الكثير من الأحداث السابقة، والروائي واسيني الأعرج يختار دائما العناوين التاريخية أو ذات الدلالة التاريخية لأعماله لكون أغلب رواياته تؤرخ لحقب زمنية مرت بها الجزائر، وفي هذه الرواية بالذات كان بحثه واستقصاؤه تاريخيا أكثر منه أدبيا .

إن العنوان صورة كلية يتم اختزال النص الروائي بداخلها، وفي نفس الوقت يمثل هوية الأديب ولمسة الإبداع في شخصيته وفي طريقة سرده للنص "فالعنوان يعرف الرواية ويشير إليها، بل إن الرواية بأكملها تتضمنه"¹⁷ فالغزالة الذبيحة تحضر في كل أرجاء الرواية، وزفرتها قبل الاحتضار وبعده تلامس جميع الأحداث، والقارئ سرعان ما يكتشف ذلك من خلال بقية العتبات كالمقدمة والإهداء، ومن ثم فإن العنوان يمثل حالة إشارية وإشهارية سيمتد ظلها عبر صفحات الرواية من بدايتها إلى نهايتها، وهو الأمر الذي يجعله يمثل مرجعية خاصة من خلال العلاقة بين العنوان والنص.

5. علاقة العنوان بالمقاطع السردية :

يرتبط العنوان بالمقاطع السردية العامة، حيث تمتد دلالاته الخاصة إلى جميع فصولها وأحداثها، فالرواية كلها تدور في فلك حيزية بطلة الرواية والغزالة الذبيحة التي اختارت التمرد على القبيل، محاولة التحرر من قيود القبيلة وظلمها، وبعد موتها بقرن من الزمن يقرر خالد الشاب المهووس بقصتها البحث من جديد عن حيزية، تدفعه في ذلك وصية والده، والكوابيس التي تقضي مضجعه، فيسافر إلى مسقط رأسها بسيدي خالد حيث يلتقي لالة ميرا آخر الشهود العيان لمن عايشوا زمن حيزية، فتكشف له الأخيرة عن سرها الدفين "أنا حيزية قليلا عليها وسعيدة أنها عادت حتى ولو كان ذلك عند غيري، تتم، بسبب حيزيا؟ ردت بصوت فيه حشجة جارحة: الغزالة الذبيحة، ثم غاب."¹⁸، تكشف اللالة ميرا لخالد أنها كانت تنتظر قدومه منذ سنوات طويلة ليبحت عن قبر الغزالة ويعيد لها الاعتبار .

ينكشف العنوان تدريجيا في غياهب السرد، ومعه يعيش القارئ الفاجعة وهو يتأمل في رحلة خالد من العاصمة لبسكرة ثم لسبيدي خالد، إنه يبحث في المجهول عما يمكن أن يشفي غليل خاطره، عن الحقائق التي ستريح ضميره وضمير الإنسانية والذاكرة الجماعية "لم يقتنع مطلقا بالتيه في الصحراء بحثا عن كابوس تحول إلى حقيقة بين يدي لالة ميرا، لم يكن يدري أن جنون سلطانه وصل بها إلى تلك الدرجة"¹⁹، كان خالد يريد

الذهاب إلى الحقيقة المطلقة، الحقيقة التي يدرك أن الغالبية من الناس لن يتقبلونها ومع هذا كان يريد أن يريح ضميره ويتخلص من هاجس حيزية الذي أرهقه لسنوات.

يكمل الكاتب دائرة العنوان حيزية زفرة الغزالة الذبيحة بعد أن طاف وجال في أرجاء الرواية باحثا عن الحقائق، منهكا بسبب الأحداث التي قابلته والتي قام بتدوينها، وعلى امتداد المقاطع السردية سنجد يحاول أن يلم شتاته وأن يجمع قصته، وقد ألزم نفسه منذ البداية على رفع مستوى طموحه وخوض هذه المغامرة المخوفة بالمخاطر، فلا يكاد يوجد شخص حاول أن يضع يده على قصة حيزية إلا وأصابته لعنة الغزالة الجميلة .

ومن ثم يمكن للمتلقي أن يؤكد أن العلاقة بين العنوان في هذه الرواية وبين المقاطع السردية هي علاقة تلاؤم وتلاصق من خلال الارتباط بين الزمان والمكان، ومن خلال الأسئلة التي يجيب عليها السارد على امتداد فصول الرواية، كذلك من خلال البناء السرد للرواية والذي يمكن إدراكه عن طريق تلك التداخلات الحوارية بين شخص الرواية، والتي كان أغلبها واقعا وحقيقيا لأن مصدره الذاكرة التي التقط منها تلك الحقائق المخفية، فالذاكرة هي التي حققت العدالة لحيزية وهي التي أنصفتها أخيرا.

6. خاتمة:

لقد اهتمت الدراسات النقدية الحديثة بالهوامش النصية، أو ما يصطلح عليه بالعتبات الخارجية تنظيرا وتحليلا، وهذا لأهميتها ولارتباطها مع النص، وكان للعنوان نصيبه الأكبر من هذه المباحث، وهذا لكونه الواجهة الأولى والمفتاح الإجرائي الأقرب للعمل السرد ككل، فكان من الطبيعي أن ينال الخطوة والمكانة الأساسية في هذه الدراسات. إن أهمية العنوان وجماليته تكمن في تلك الإشارات التي يلتقطها القارئ والتي تمكنه من الغوص في أعماق الدلالات بحثا عما يربط هذا العنوان بالكاتب وبالسند الداخلي، فيحدث نوع من التأويل والإسقاط بين معاني تلك الكلمات والجمل المختصرة وبين النص، وهذه العملية هي الوتر الحساس الذي يلعب عليه الروائي من أجل جذب المتلقي وإغوائه، خصوصا ونحن اليوم ندرك أن ثراء العناوين وتنوعها لا يقل عن المقاطع السردية.

يعدّ واسيني الأعرج من أهم الأعلام الروائية العربية وأكثرها شهرة، وهو إلى ذلك كاتب متمرس استطاع أن يصنع لنفسه تجربة روائية واسينية بامتياز، قوامها السرد المحكم وقوة الأسلوب وجماليته، وجاذبية عناوينه وثقلها، ولعل أهم ما يميز العنوان عند واسيني هو دمج العنوان الرئيسي مع عنوان فرعي ثانوي، يتم معناه أو يفصح عن بعض من أسرار.

استطاع واسيني في رواية حيزية أن يستغل العنوان لصالحه وهذا بإخضاعه لرؤيته الجديدة للقصة والتي خالفت كل الذي تم تداوله لسنوات طويلة، فبمجرد وضعه لهذا العنوان أحدث ذلك الاتصال الذهني بين المتلقي والذاكرة التاريخية المتمثلة في أسطورة المرأة الصحراوية فاتنة الجمال صاحبة أشهر قصص الحب في الجزائر، غير أن الفارق يكمن في العنوان الثانوي والذي جاء أسفل العنوان الرئيس "زفرة الغزالة الذبيحة"، والذي كشف عن حقيقة مغايرة لما هو متعارف عليه.

إن تشكل العنوان في رواية حيزية ثري بمختلف الدلالات والاشارات والتي تتكشف تدريجيا أثناء قراءة المقاطع السردية الداخلية، فربط الكاتب بين حيزية والغزالة الذبيحة جعل القارئ يعيش الفاجعة في كامل فصول الرواية، باحثا عن تلك التفاصيل التي تم تغييبها عمدا أو سهوا، وسيكون لتحركات الراوي وطريقة سرده الفيصل في معرفة النهاية التي آلت إليها حيزية .

- ¹- حمدان حسين، ملامح شعرية الرواية جبرا إبراهيم جبرا أنموذجا، دراسة فنية تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الأردن، 2001، ص32.
- ²- محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1998، ص22.
- ³- عبد الحق بلعابد، عتبات جبرار جينيت من النص إلى المناص، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2008، ص67.
- ⁴- شعيب حليفي، النص الموازي، استراتيجية العنوان في الرواية، مجلة الكرمل، العدد 46، 1992، ص82.
- ⁵- هاشم ميرغني، بنية الخطاب السردية في القصة القصيرة، شركة مطابع السودان، الخرطوم، 2007، ص80.
- ⁶- بسام قطوس، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، اربد، الأردن، ط1، 2001، ص54.
- ⁷- خالد حسين، سيمياء العنوان القوة والدلالة" النمرور في اليوم العاشر" لتركيا ثامر أنموذجا، مجلة جامعة دمشق، المجلد 21، العدد4، 2005، ص250.
- ⁸- عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2002، ص109.
- ⁹- المرجع نفسه، ص112.
- ¹⁰- حسين فخري، نظرية النص، من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، الدار العربية للعلوم الناشرون، الاختلاف، الجزائر، 2008، ص26.
- ¹¹- محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1998، ص114.
- ¹²- أحمد إبراهيم الهواري، مرايا المرايا، مقاربات نقدية في الخطاب الثقافي، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، 2011، ص85.
- ¹³- عبد النبي ذاكر، عتبات الكتابة، دار ليلي للطباعة والنشر، مراكش، المغرب، ط1، 1998، ص13.
- ¹⁴- عزوز علي اسماعيل، عتبات النص في الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2013، ص191.
- ¹⁵- عبد الحق بلعابد، عتبات جبرار جينيت من النص إلى المناص، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص78.
- ¹⁶- سيزا قاسم، أنظمة العلامة في اللغة والأدب والثقافة، دار إلياس، القاهرة، 1986، ص31.
- ¹⁷- عبد الفتاح الححمري، عتبات النص، البنية والدلالة، منشورات الرابطة، المغرب، 1996، ص122.
- ¹⁸- واسيني الأعرج، حيزية، زفرة الغزالة الذبيحة، دار خيال للنشر والترجمة، الجزائر، ط3، 2023، ص88.
- ¹⁹- المصدر نفسه، ص92.

6. قائمة المراجع:

1. واسيني الأعرج، حيزية، زفرة الغزالة الذبيحة، دار خيال للنشر والترجمة، الجزائر، ط3، 2023.
2. أحمد إبراهيم الهواري، مرايا المرايا، مقاربات نقدية في الخطاب الثقافي، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، 2011.
3. بسام قطوس، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، اربد، الأردن، ط1، 2001.
4. حمدان حسين، ملامح شعرية الرواية جبرا إبراهيم جبرا أنموذجا، دراسة فنية تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الأردن، 2001.
5. حسين فخري، نظرية النص، من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، الدار العربية للعلوم الناشرون، الاختلاف، الجزائر، 2008.
6. خالد حسين، سيمياء العنوان القوة والدلالة" النمرور في اليوم العاشر" لتركيا ثامر أنموذجا، مجلة جامعة دمشق، المجلد 21، العدد4، 2005.
7. عبد الحق بلعابد، عتبات جبرار جينيت من النص إلى المناص، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2008.
8. عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2002.
9. عبد النبي ذاكر، عتبات الكتابة، دار ليلي للطباعة والنشر، مراكش، المغرب، ط1، 1998.
10. عزوز علي اسماعيل، عتبات النص في الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2013.
11. عبد الحق بلعابد، عتبات جبرار جينيت من النص إلى المناص، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.
12. عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2002.
13. سيزا قاسم، أنظمة العلامة في اللغة والأدب والثقافة، دار إلياس، القاهرة، 1986.
14. شعيب حليفي، النص الموازي، استراتيجية العنوان في الرواية، مجلة الكرمل، العدد 46، 1992.

15. هاشم ميرغني، بنية الخطاب السردي في القصة القصيرة، شركة مطابع السودان، الخرطوم، 2007.
16. محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوتيقيا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1998.
17. هاشم ميرغني، بنية الخطاب السردي في القصة القصيرة، شركة مطابع السودان، الخرطوم، 2007.